تكنولوجيا المعلومات والاتصال معيق أم مساند للعمل الدبلوماسي

Information and communication technology as an obstructive or supportive of diplomatic practice

ط.د/ بوغالم إلياس*
جامعة الجزائر 3 –الجزائر-
ilyessboughalem@gmail.com

أ.د/ مزاني راضية ياسينة
جامعة الجزائر 3 –الجزائر-
radiamazani@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/22 تاريخ القبول للنشر: 2022/03/17 تاريخ النشر: 2022/05/30

ملخص:

في خضّم تقدم تكنولوجيا المعلومات والاتصال ظهرت أشكال جديدة للدّبلوماسية إرتبطت جلّها بالرّقمنة عبر إستخدام وسائط الإنترنت، وبالتّالي فإنّ هذا التّرابط صار إتّجاهاً مهمّاً في القرن الواحد والعشرين نظراً لتشكيله للقضايا الدّولية بصيغ جديدة ومتعدّدة الأوجه، فقد تغيّرت طريقة العمل الدّبلوماسي وصار تعزيز العلاقات الدّبلوماسية لصيقاً بإستغلال مزايا تكنولوجيات المعلومات والاتصال وفي نفس الوقت آخذاً في عين الاعتبار سلبيات الدّبلوماسية الرّقمية، وعليه فالإشكالية المعالجة تجسّدت في دراسة مزايا تكنولوجيا المعلومات والاتصال في العملية الدّبلوماسية إلى جانب المخاطر المترتّبة عن إستخدام الرّقمنة أثناء الاتصال الدّبلوماسي، من أجل التّوصل إلى أهم نقطة مفادها أنّ التفوّق الدّبلوماسي يتطلّب إلماماً كبيراً بإستعمال هذه التّقنيات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الدّبلوماسية؛ تكنولوجيا المعلومات والاتصال؛ الدبلوماسية المعاصرة؛ الإنترنت.

Abstract:

Amid advancements in information and communication technologies, new forms of diplomacy have emerged, most of which are related to digitization through the use of internet media. Thus the problem of processing is embodied in the study of the advantages of information and communication technologies in the diplomatic process as well as the risks arising from the use of digitization in diplomatic communication, in order to reach the most important point that diplomacy requires the use of information from these contemporary technologies.

***key words**: diplomacy; information and communication technology; contemporary diplomacy; Internet.*

*المؤلف المراسل

مقدّمة:

مرّت الدبلوماسية بتطوّرات عبر التاريخ حتّى وصلت إلى أشكال حديثة في التنظيم وذلك لأجل إدارة العلاقات الدولية وتخلّت عن طابع السرية التقليدي فأصبحت دبلوماسية مفتوحة، ممّا جعل منها ذات حدّين سلبي و إيجابي، فقد قامت الثورة المعلوماتية بقلب موازين أساليب الاِتّصال بين الدّول قائمًا على الشفافية، كما أنّ هذا العمل لم ينحصر على الدّول بل تعدى ذلك إلى وجود جهات أخرى تزامناً مع نمو الرأي العام الدولي والدور الذي صار يلعبه المجتمع الدولي، وما جعل التأييد لها قويا هو تطور أساليب الدعاية والإعلام، أين حصلت هذه الفواعل على التعريف ببرامجها الدبلوماسية أمام العالم.

لكن هذا الانطلاق والاتساع في الدبلوماسية الجديدة قد تولدت عنه آثار سلبية وأخرى إيجابية، الآثار تؤدي إلى خلق مشاكل في المنظومة الدولية وآثار تساهم في خدمة المجتمع الدولي، وخصوصا أنّ المؤسسات الدّبلوماسية لم يعد لها اليد الرئيسية في العمل الدبلوماسي بل أنّ المصالح المشتركة تطلبت اِزدياد معدّلات الاِتصال وظهور مواضيع جديدة تطرح في المحافل الدولية عدداً من العوامل والمتغيرات، وهذا ما هو عليه القانون الدبلوماسي خصوصا والعلاقات الدولية عموما، فهُما غير قابلين للجمود، بل الديناميكية هي ميزتهما الأساسية في المجتمع الدّولي من أجل معرفة مجريات السياسة الدولية وقراءتها وفق منظومة رقمية، كعامل مهمّ في الظفر بالمعلومات الدولية اللاّزمة واِقحامها في عملية صنع القرار على المستوى الداخلي والخارجي.

تبحث إشكالية الموضوع عن الأثر السلبي والإيجابي لتكنولوجيا المعلومات والاتصال على العملية الدّبلوماسية، وهنا يتبيّن لنا ظهور خصائص دبلوماسية جديدة في خضم هذا التقدّم المعلوماتي ومن هنا نطرح السؤال الآتي: **كيف ساهمت تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تشكيل خصائص ذات حدّين (ضارّة ونافعة في نفس الوقت) في العملية الدّبلوماسية في خضمّ المجريات الدّولية الرّاهنة؟**

ولدراسة مزايا ومعيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصال على العمل الدّبلوماسي تمّ اِستخدام المنهج الوصفي من خلال تحديد مجموعة مختلف من البراهين الموضوعية وتدعيمها بأمثلة كمقاربة تحاول الإجابة عن سؤال الإشكالية.

المبحث الأول

مزايا تكنولوجيا المعلومات والاتصال في العمل الدّبلوماسي

إنّ التقدم السريع في ميدان تكنولوجيا المعلومات غيّر منظومة العمل الدبلوماسي، فأشكال ونماذج الاتصال الدبلوماسي قد تغيرت وأتاح للمجتمع الدولي التقرب من بعضه البعض، كذلك إيصال المعلومة والحصول عليها في ظرف قياسي، وكل هذا من أجل الوصول السلمي إلى الأهداف المسطرة بواسطة إستعمال وسائل المعلومات أثناء ممارسة العمل الدبلوماسي، وهو ما يجعل منه حلقة للتأثير في القرارات والوصول إلى حلول نهائية تغيّر مجرى القرارات الدولية.

المطلب الأول: تطوّر الأساليب الدّبلوماسية في خضم التّقدم التّكنولوجي

لقد أصبح التّحول من الدّبلوماسية التّقليدية إلى الدّبلوماسية الحديثة ممكناً بفضل تأثير تكنولوجيا المعلومات والاتصال في ظلّ أساليب جديدة للرّقمنة، فالطّابع المتقوقع الّذي طالما تميّزت به الدّبلوماسية التّقليدية قد تلاشى - نسبياً- أمام أشكال جديدة للدّبلوماسية المعاصرة إذْ تُستخدَم وسائط الإنترنت في التّفاعل مع شتّى المواضيع من باب الانفتاح أمام الأوجه المتعدّدة للقضايا الدّولية كعاملٍ يُعوّل عليه في تعزيز العلاقات الدّبلوماسية.

لقد مكّنت تكنولوجيا المعلومات مواطني العالم من التقرب أكثر من الحكومات والمنظمات ما يتيح معرفة مجريات الأحداث بكل سهولة، فسعي الحكومات وراء تسييس عملية البرمجة مكّن من زيادة كفاءتها في مجال المعلومات وبالتالي صار بإمكان أيّ فاعل داخلي أن يؤثر خارجيا في قرارات الدولة عن طريق الإنترنت، فمثلا نجد أن وزارة الدفاع الأمريكية تستخدم تكنولوجيا البريد الصوتي الآلي لاستطلاع آراء الأفراد حول أيّ قضية دولية، وبهذا تصبح السرعة المعلوماتية أداة من أدوات تفعيل الدبلوماسية الديمقراطية، وكذلك هناك مثال آخر حيث جمع الرئيس الأمريكي جورج بوش تحالفه الدولي بإستعمال الهاتف في حرب الخليج الثانية، وبالتالي ضمانه لما يسمى بالمصلحة القومية المشتركة[1].

الفرع الأول: الاتصال الدّبلوماسي في ظلّ الرّقمنة

إنّ تطبيق التّكنولوجيا الرقمية في عالم الدبلوماسية إستلزم تفعيلاً للعديد من الجوانب، فالوظيفة الدبلوماسية هي واحدة من أكثر الوظائف سرية في طبيعتها، ومن هنا بقي المجال مفتوحاً أمام الأمن الإلكتروني من أجل تنفيذ المهام الدّبلوماسية بنجاح بعيداً عن كلّ ما له صلة بالجوسسة وضرب

المصداقية بحيث أنّ ضمان التّفشير أمر إلزامي يؤمّن الاتصال بين طرف وآخر[2]، ففي إطار الامتيازات والحصانات المرتبطة بعمل البعثة الدّائمة والّتي من شأنها تسهيل الاتصال الدّبلوماسي فإنّ القانون الدّولي للبعثة الدّبلوماسية قد أقرّ بحقّ الاتصالات والمراسلات الرّسمية مع مختلف الجهات الّتي تندرج في مهامها الدّبلوماسية، ففي اتفاقية فيينا للعلاقات الدّبلوماسية 1961 نصّت الفقرة الأولى من المادّة 27 على ما يلي: "تسمح الدّولة المضيفة للبعثة الدّبلوماسية بحرّية الاتصال من أجل الأغراض الرّسمية للبعثة وتحمي هذه الحرّية"، وبناءً على هذا فإنّ وسائل الاتصال بمختلف أشكالها منوطة بحماية قانونية لاسيما السّرية وضمان أمن تشفير شتّى المعلومات والمراسلات الإلكترونية المتاحة في العمل الدّبلوماسي لدولة الإيفاد[3].

لقد فرضت تكنولوجيا المعلومات ظهور دبلوماسية الأقمار الصناعية حيث أنها لا تضع حدودا دبلوماسية بين دول العالم متجاوزة بذلك كل القيود بما فيها شفافية وصول المعلومة وظهور أساليب أخرى في كيفية تفاعل الدّول مع الشؤون الدولية، وبالتالي وجود توجه واحد في خضم ما يسمى بالعولمة خصوصا العولمة التكنولوجية الّتي أوجدت انفتاحا بين الدول والذي أحدث تغييرا نوعيا في أساليب الممارسة الدبلوماسية من خلال الخطوط الهاتفية والرّسائل الإلكترونية التي تسمح بإجراء محادثات هامة على بعد أميال في مدة زمنية وجيزة[4].

إذن الدّبلوماسية الرّقمية عبر مجموعةٍ من البرمجيات المفتوحة إستندت على توجيه الإدارات العاملة في السلك الدبلوماسي عن طريق شبكات الإنترنت ما يتيح تنظيم المعلومات الصادرة إلى تلك الإدارة وبالتالي تزويد صناع القرار بما يحتاجونه من معلومات دبلوماسية في مدة وجيزة، وهو ما تحتاجه الدبلوماسية من تدفق للمعلومات والوصول إليها عبر مواقع مخصصة لها نتيجة للعمل الذي يحمل طابع الابتكار والذي يساير العولمة الرقمية، وما تتطلبه الدبلوماسية الرقمية لضمان نجاحها هو وضع إستراتيجيات دفاعية أو ما يسمى بالأمن المعلوماتي[5].

الفرع الثّاني: التّطور الرّقمي كنقلة نوعية في أساليب العمل الدّبلوماسي

لقد ظهرت بفضل دبلوماسية المعلومات وتطور وسائل الاتصال أساليب جديدة في عملية إتخاذ القرار خصوصا على المستوى الخارجي، إضافة إلى ذلك فتكنولوجيا المعلومات أشركت الرأي العامّ عبر وسائل الإعلام في مختلف الرهانات المعاصرة في إدارة العلاقات الدولية، كما ظهر ما يسمى بشخصنة الدبلوماسية والّتي تسمح بحلّ المشاكل الدولية عبر سرعة الاتصال بين رؤساء الدول، فسمحت وسائل تكنولوجيا المعلومات بالحفاظ على المصالح السياسية، الاقتصادية، العسكرية، والثقافية، فصارت كل وزارات الخارجية في العالم مطلوبا منها إدخال البرمجيات الإلكترونية للحاسوب

في العمل الدبلوماسي[6]، فلقد أعقب التطور في وسائل الاتصال سرعة اتخاذ القرارات لأنّ العمل الدبلوماسي أتاح أمام إستراتيجياته إمكانيات تكنولوجية جديدة عبر الأقمار الصناعية والهاتف والتلفزيون، أي أنّ وتيرة الجهود الدّبلوماسية صارت سريعة، فتطوّرت المناقشات عبر مراجعة آلية للبيانات المقدمة لوزارات الخارجية، بهذا الصدد يعتقد مايكل دونالد Michael Donald أنّ وجود وسائل الاتصال سيجلب نوعاً جديدا من العلاقة المباشرة بين صناع القرار وخلق إتصال دائم فيما بينهم، إضافة إلى أنّ العلاقات غير الرسمية والّتي تمسّ جانباً من الدبلوماسية من خلال وضع شبكات للتفاهم والتحاور لمعرفة مختلف الأهداف والمصالح المشتركة والتطلعات الواحدة[7].

كما تجدر الإشارة إلى أنّه حدثت تغيّرات عميقة في تشكيلة النظام الدولي المعاصر، فصار نظاماً متعدّد القطبية وبهذا تغيّرت موازين السياسة الاقتصادية الدولية إلى مفاهيم العولمة الاقتصادية، فصارت مهمة المجتمع الدولي إثر هذا هو الحفاظ على السلام العالمي وتعزيز التنمية المشتركة، وبالتالي فمواكبة تطورات تكنولوجيا المعلومات والاتصال قامت بتوسيع المصالح المتقاربة بين مختلف دول العالم، إذن هذا التعاون حافظ على الأمن المشترك بين الدول، ومحاولة وضع حدّ للتهديدات الأمنية التقليدية، لأنّ طبيعة القضايا الأمنية الدولية العابرة للحدود الوطنية توفّر تعاوناً دبلوماسياً من قِبل جميع وحدات المجتمع الدولي، في حين أنّ التقدم التكنولوجي جعل من عقلية الحرب الباردة وثقافة القوة الصلبة غير ذات جدوى[8].

من جهة أخرى كذلك فلقد سلطت وسائل الإعلام الضوء على دور الدبلوماسية في التجارة، وهي الزيارات الرسمية لرؤساء الدول في الدول الأجنبية وما يرافق ذلك من عقود موقعة مع البلد المضيف، فنجد أنّ الوكالات الاستخبارية المركزية الأمريكية CIA كان لها أثر إيجابي على الصادرات الأمريكية في الدول المستهدفة خلال الحرب الباردة، وهو ما يمنح أثراً في حلّ النّزاع من خلال هذه التدفّقات التجارية السريعة، وبالتالي فهذا التقدم التكنولوجي قد فرض ظهور نوع جديد من التجارة وهي التجارة المعولمة، وهي علاقة ثلاثية الأطراف بين الدّبلوماسية وتكنولوجيا المعلومات والتجارة الدّولية، فتكاملها يساهم في ظهور نوع جديد من الدبلوماسية وهي الدبلوماسية التجارية كشكل جديد لحلّ النزاعات المتعلقة بالمجال التجاري[9].

المطلب الثاني: الأثر الإيجابي لعولمة الاتصال على العملية الدّبلوماسية

في عالم اليوم ازدادت أوجه التعاون ومجموعات المجتمع المدني والحركات الثقافية، والأهمّ من ذلك أنّ الأفكار لا تعرف حدودا وطنية، فالمواقع الإلكترونية لها تأثير أكبر على عدد أكبر من الناس

والحكومات، وأهم شيء في هذه المواقع الإلكترونية هو أنها تسهل التفاعل المباشر بين صناع القرار والشعوب، أي تمتين العلاقات بين الحاكم والمحكوم وبين الرأي العامّ المحلي والدولي ومختلف الفوارق السياسية في شتى أنحاء العالم وشتى الأنظمة السياسية، فالدبلوماسية من هنا ميزتها الأساسية هي مواكبة العالم، والتركيز الجدي على المحادثات الإلكترونية، فهي ليست محصورة في خدمات البث الإذاعي وحسب بل مواكبة تطورات وسائل الإعلام ووَسائل نقل المعلومات الّتي تطلّبت تغييرَ وجهة نظر مناسبة للوصول إلى المشاعر والأولويات والهويّات الوطنية والّتي بذاتها تشكّل أسس النّظام الدولي المعاصر[10].

الفرع الأول: زيادة التّرابط الدّولي

ساهمت تكنولوجيا المعلومات والاتصال وفي توجيه الفاعلين الدّوليين من رؤساء ووزراء خارجية وسفراء وكذا اِقتصاديين نحو أسلوب دبلوماسي يتميّز بزيادة القوّة والتّأثير من خلال شراكات واِستراتيجيات مبتكرة في شكلها الجماعي بدلاً من الأفعال الانفرادية، فعصر العولمة يتميّز بزيادة وتكثيف التّفاعلات السّياسية والاقتصادية والثّقافية خارج الحدود الإقليمية، وهنا ضمّ الاتصال الدّبلوماسي فواعلاً متنوعةً كالدّول، المنظمات الدّولية، الشّركات متعدّدة الجنسيات، حركات مختلفة وشبكات عابرة للحدود بل حتّى الأفراد، وهذا ما كان له فائدة تجلّت في تقريبهم من بعضهم وتذليل العقبات في التّواصل فيما بينهم، فضلاً عن ذلك فإنّ أهمّ مؤشرٍ تُقاس به قوّة التّرابط الدّولي هو هذا الاتصال الدّبلوماسي في قالبه الرّقمي[11].

لقد سمحت كذلك تقنيات متقدمة من تكنولوجيا المعلومات بإشراك هؤلاء الفواعل في مجريات العمل الدبلوماسي على شتى أوجهه لاسيما الاقتصادي (الدّبلوماسية الاقتصادية والدّبلوماسية التّجارية) ما يسمح بأخذ صورة دقيقة جدّاً عن كلّ ما يجري أثناء العملية الدّبلوماسية، وكمثال على ذلك التيليبريزنس Telepresence وهو نظام خاص يوضع أثناء مؤتمرات القمم ولقاءات الرؤساء، فهو يمكّن الأشخاص من الاجتماع بوضع أكثر واقعية بكثير ممّا هو ممكن في أنظمة الفيديو وذلك بواسطة اِستخدام تكنولوجيا النّطاق العريض عالية السرعة ومعدّات الفيديو عالية الوضوح[12].

كما أنّ التّطور السريع في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كان له تأثير إيجابي متعدد الأوجه على الأدوات والنماذج و ظهور أنواع جديدة من الدبلوماسية والّتي بدورها سمحت بتشكيل أرضيات متنوعة لخلق هذا التّرابط الدّولي والعمل على تقويته من كلّ جوانبه، فكان للعمل مع المعلومات حصة كبيرة في النشاطات الخارجية والمجالات الاقتصادية على مدى عقود متقدمة من الزمن، فصارت طريقة

استخدام المعلومات ومعالجتها في الدبلوماسية أمراً حاسماً، فالآن تعتبر الشبكات المعلوماتية أداة أساسية في الأنشطة الدبلوماسية، فهي تعمل على زيادة كفاءة وزارات الخارجية لأيّ دولة خصوصا في اعتبار تكنولوجيا المعلومات عاملا مؤثرا في مستقبل العلاقات الدبلوماسية و تطورها واهتمامها بقضايا جديدة على وجه التّحديد[13].

الفرع الثّاني: الانفتاح وعولمة المعلومات

جدير بالذّكر القول بأنّ تكنولوجيا المعلومات والاتصال قد فتحت أمام القنوات الدّبلوماسية من خلال الفضائيات بتعدد اِتّجاهاتها وأيديولوجياتها باباً أمام عولمة المعلومات Mondialisation De L'information، حيث اِتّجهت التدفقات الدولية إلى تغيير وجهات النظر التاريخية والجيوسياسية والاقتصادية بِاعتبارها نطاقات حساسة في فهم مختلف القضايا الدولية وعلى رأسها المواضيع المتعلّقة بالدبلوماسية من حلّ للنّزاعات وتدخل في المشاكل البَيئِيّة وغير ذلك من الظواهر السياسية المعاصرة الّتي صارت محلّ دراسة وبحث في ظلّ هذا التّطور التكنولوجي[14].

كما أتاحت تكنولوجيا المعلومات بزوغ قنوات التواصل بين الدول والشعوب، فصار البحث العلمي أحد نقاط الاهتمام لدى الدبلوماسي والدبلوماسية، فمثلا يمكن للدبلوماسيين بعد إجراء المفاوضات الطويلة والمعقدة إنشاء ملفات للأبحاث الدولية الّتي تدرس مشاريع التعاون بين الدول والقرارات العامّة ومصالح الدّول من خلال ما يدرسه العلم في باب المنفعة الاجتماعية، فهناك اتفاقيات دبلوماسية حول التعاون العلمي خصوصا أثناء قمم رؤساء الدول، سواءً على المستوى متوسط أو بعيد المدى، وهذا ما يشكل زيادة حِراك الباحثين في التّرويج للنتائج العلمية الجديدة المكتسبة بشكل مشترك بين الدول الموقعة على الاتفاقية، فمثلا في2013 قامت وزارة الشؤون الخارجية بفرنسا بنشر نصّ من عشرين سطرا بعنوان الدبلوماسية العلمية لفرنسا Une Diplomatie Scientifique Pour La France بِاعتبارها مكمّلا للاستراتيجية الوطنية الدولية في البحث والابتكار الصادرة عن وزارة البحث العلمي وَدمج وظيفة سفير العلوم والتكنولوجيا كعملية تنافس مع الدول الكبرى في الدّبلوماسية العلمية[15].

جملة القول أنّ تكنولوجيا المعلومات دفعت المجتمع الدولي إلى تحمل عبء الوصول إلى المعلومة كأهم مزيّة لدراسة مجريات الأحداث الدولية، ما يخلق توازناً مهمّاً بين مختلف القوى، وبالتالي فبإمكان أيّ فاعل الوصول إلى أهدافه الخارجية بالأسلوب الدبلوماسي بواسطة وسائل أهمها الترويج الإعلامي للحدث أو القضية وهو ما يخلق تجاوباً فعّالا يتطلّب إيجاد نوع من التنسيق والتوافق ومهارات فنّية من

خلال التأثير عبر طرق التفاوض والتوسط واللّباقة، وهو ما يجعل من الدبلوماسية شيئا إيجابيا عند إستغلال أدوات التكنولوجيا بشكل سليم.

المبحث الثاني

تكنولوجيا المعلومات كأحد معيقات العمل الدّبلوماسي

ساهمت تكنولوجيا المعلومات في ظهور جملة من الآثار الّتي خدمت العلاقات الدولية، وقراءة محتويات السياسة الدولية، وإضفاء الطابع الدبلوماسي على هذه العلاقات، لكن إيجابيات التقدم المعلوماتي لم تكن كافية لسيرورة العمل الدبلوماسي على أحسن وجه، بل إنّ ظهور سلبيات ناتجة عن تكنولوجيا المعلومات كانت كأحد العوامل الّتي تمدّ صورة متدنية عن إعْمَالِ العصرنة في خدمة الأغراض السياسية بين مختلف الفواعل الدولية، خصوصاً وأنّ هناك وحدات في المجتمع الدولي لا تصل بها الدرجة لمواجهة التّحديات التكنولوجية والإلكترونية، وهذا ما يجعل من تكنولوجيا المعلومات والاتصال ذات خدمة ضعيفة في سبيل الأغراض الدبلوماسية.

المطلب الأول: تحدّيات العمل الدّبلوماسي في ظل التّقدم المعلوماتي

إنّ من بين أضرار التّقدم التكنولوجي السريع هو عدم قدرة الدول على تخصيص التكنولوجيا لأغراض التنمية والأمن، وأكثر هذه الدول هي دول العالم الثالث، وبسبب عدم قدرتها على إستخدام التكنولوجيا المتقدّمة بشكلٍ فعّال في مكافحة الجرائم الإلكترونية والعنكبوتية Cyber-Crimes، وهذا ما جعل الكفّة ليس لصالحهم، والشيء الخطير هنا هو أنّه عندما تقوم الدّول بإطلاق معركة ناجحة ضدّ الجرائم الإلكترونية فمن الضّروري أن تتصدّى الدول لهذه الجرائم بواسطة بيانات رقمية، وهذا ما يقودنا إلى الحديث عن المشاكل المرتبطة بالأمن وتكنولوجيا المعلومات، فأحَد التّهديدات الكبرى للنّمو السريع في تكنولوجيا المعلومات هو مشكلة إنعدام الأمن الإلكتروني، ففي هذه الحالة تكنولوجيا المعلومات والاتصال ليست كفيلةً بحماية العمل الدّبلوماسي في صيغته الرّقمية خصوصاً من جرائم الإرهاب والسرقة والقرصنة على الإنترنت[16].

الفرع الأول: التعقيدات في الدّبلوماسية الرّقمية

لقد شكلت تكنولوجيا المعلومات الجديدة منبرا جديدا في السّياسة الدّولية، إذْ حاولت جعل الدول الديمقراطية أكثر ديمقراطية والدول الاستبدادية أقلّ استبدادية -لكن من خلال شبكات الإنترنت عبر العالم- أين فُتِح باب نقاش كبير حول مواضيع متنوعة ففي ظرف التكنولوجيات الجديدة

هناك ما يعرقل عملية دمقرطة العمل الدبلوماسي في ظل الدعاية الإعلامية (البروباغاندا)، واتّساع التضليل الكاذب، والتلاعب بالعقول والأحاسيس، وهو ما يجعل من تكنولوجيا الإعلام عائقا ووسيلة غير ذات فعالية في إضفاء الطرق السلمية على القضايا الدولية[17].

كما أسفر التقدم التكنولوجي أيضاً عن وجود ما يسمى بالسياسة الخارجية الافتراضية، فكانت الإنترنت هي المحرك الرئيسي للدبلوماسية الحديثة، فثورة المعلومات عندما اضطرت للتماشي مع طبيعة العمل الدبلوماسي خلقت بالتّالي تعقيداً عند تفاعل الأطراف الدبلوماسية فيما بينها، فوفقا لريتشارد سولومان Richard Soloman 2000 رئيس معهد الولايات المتحدة الأمريكية للسلام وهو ضابط سابق في الخدمة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية فإنّ المعلومات عن كسر الأزمات الدولية قد يستغرق الحصول عليها لساعات أو حتى أيام، كما يتطلب نشرها عملاً أكثر تعقيدا وَفي وسائل متعددة على غرار الراديو، التلفزيون، الجرائد، وخصوصا عبر الإنترنت بشكل يصل للعالم بسرعة البرق، فبقدر ما هي نعمة هي نقمة أكبر في آن واحد[18].

الفرع الثاني: معيقات الدّبلوماسية الرّقمية

يمثّل الأمن السّيبراني تحدّياً صعباً تمثّله الدّبلوماسية الرّقمية، فقد حمل الانتشار السّريع للمعلومات في إطار اِقتصاد معرفي وذكاء اِقتصادي اِستعمالات لأساليب هجومية على غرار تسريب المعلومات واِختراق حسابات الفاعلين الدّبلوماسيين، وكمثال على ذلك فضيحة Wikileaks عندما نشر هذا الأخير علناً عبر موقعه ملفات لتقييمات صريحة لسفارات الولايات المتّحدة بشأن قادة دول العالم والدّول المضيفة لهم وكذا العديد من الدّبلوماسيين، وهذا الأمر فتح باباً واسعاً أمام الشّك في مصداقية الدّبلوماسية الرّقمية ومواكبة هذا التّقدم المعلوماتي الّذي أعطى قراءات اخرى للأمن المعلوماتي بعد هذه الفضيحة[19].

علاوةً على ما سبق نجد أنّ اِستعمال وسائل التّواصل الاجتماعي قد أثر سلباً على الدّبلوماسية فنجد من جملة ذلك المراقبة (الجوسسة)، الحرب السيبرانية، فقدان الخصوصية، فمراقبة البيانات هي اِنتهاك غير مباشر للحرّيات الشخصية للدبلوماسي، فبحكم اِمتلاك الحكومات في جميع أنحاء العالم للتكنولوجيا المتطورة فهناك ما يسمى بالوعي المعلوماتي أي يجب على كل مستخدم الإلمام بتقنيات الدفاع والهجوم الإلكتروني على أيّ نوع من البيانات، وقد سمحت هذه الثّقافة السلبية للحكومات بِاستخدام قدراتها لقمع الشعوب إذا ما توفرت لديها إمكانية استخدام هذه التقنيات، والّذي يخلق

العداء هو أنّ هذا الباب مفتوح حتى أمام العامّة من الناس، وبهذا فالعمل الدّبلوماسي يكون واقفا أمام تحدّيات جديدة هي التحديات الإلكترونية في مجال الإنترنت[20].

من جهةٍ أخرى فإنّ الدّول الّتي لا زالت في طليعة الابتكار التكنولوجي وتطبيقه تشكّل لديها تكنولوجيا المعلومات قلقاً واسعاً، فنجد أنّ هناك قضايا دبلوماسية في الفضاء الرّقمي أوسع من القضايا السّياسية فصعب على هذه الدول مثلاً التعامل مع مواضيع دبلوماسية أكثر حداثة كالقضايا الصحية والبيئية، فهناك نقاش حول مخاطر التكنولوجيا الحيوية والّتي يتطلب التعامل معها إلماماً بتكنولوجيا المعلومات أين تسمح للمستخدم أن يدير المخاطر التكنولوجية، سواءً كانت صادرة من الداخل أو الخارج، وبالتالي فكلّ هذا يشكّل مصدراً رئيسيا للقلق لديهم ممّا يعيق العمل الدبلوماسي بحيث يستوجب إتخاذ تدابير جديدة وبذل جهود أكبر ورسم إستراتيجيات جديدة للتعامل مع الأخطار النّاجمة عن شتى أنواع التكنولوجيا، وهو ما يسمى بدبلوماسية العلم والتكنولوجيا.

المطلب الثاني: جرائم الإنترنت كمهدّد للعلاقات الدّبلوماسية بين الدّول

من ناحية عملية فإنّ إفتقار الفاعلين الدّبلوماسيين إلى معرفة إستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال بالإضافة إلى قلّة تدرّبهم على التّعامل مع الهجمات الإلكترونية سيؤدّي حتماً إلى الوقوف دون حراك أمام الجرائم السيبرانية والّتي من شأنها خلق حالة من الشّك أثناء عملية الاتصال الدّبلوماسي.

الفرع الأول: خلافات دبلوماسية - سيبرانية

في عام 2010 تمّ اكتشاف ما يسمى بدودة الكمبيوتر (تساوي 500 كيلوبايت) غزَت أجهزة الكمبيوتر في عدد من دول أنحاء العالم، وهو فيروس مطوَّر بشكل خاصَ لمهاجمة البيانات على نطاق جغرافي واسع وَفكّ رموز شفرات الحواسيب خصوصاً المنشآت الصناعية، وهو ما حدث في إيران في 2012 عندما صمّم فيروس بإسم ساتوكاسنيت Satukasnit الّذي هاجم 14 موقعا إلكترونيا خاصّاً بالمنشآت الصّناعية النّووية، وهذا ما خلق شكوكاً وتوتّرا عندما إتّهمت إيران الولايات المتحدة الأمريكية بأنّها المطور الرئيسي لهذا الفيروس، بينما نفت الولايات المتحدة ذلك، حيث بقي الفاعل الّذي تجسّس على البيانات مجهولاً[21].

في 2011 حدثت موجة كبيرة من هجمات القرصنة على الشركات الأمريكية، بما في ذلك جوجل ميل Google Mail والّتي تعتبر أهمّ موقع للبريد الإلكتروني يتعامل معه النشطاء الخارجيون الأمريكيون، كما أنّ هذه الهجمات شملت أيضاً المؤسسات الدولية الّتي تتّخذ من الولايات المتّحدة

الأمريكية مقرّا لها، بما في ذلك صندوق النّقد الدولي ومجلس الشيوخ الأمريكي(البنتاغون)، فمثلا إستهدفت الهجمات الإلكترونية على البنتاغون ملّفات حول تطوير أنظمة الأسلحة والمعدّات الدفاعية، وَالحاصل من كلّ هذه القرصنة هو سرقة أكثر من 90000 عنواناً للبريد الإلكتروني يحتوي أغلبه على مجموعة مهمّة من المعلومات[22].

إنّه وَفي سياق الهجمات الإلكترونية على الولايات المتحدة الأمريكية، فإنّ أكبر منافس دولي لها هما الصين الشعبية وروسيا ممّا يجعلها تنتهزان الفرصة لمهاجمتها في أيّ لحظة والتجسّس على المعلومات المهمّة، فالصين مثلا في 2015 إقتحمت مكتب إدارة شؤون الموظفين وسرقة سجلّات شخصية لما يقارب 21 مليون مواطن أمريكي وهذا العمل قد صعّب إسترداد الرموز المسروقة، ممّا دفع بالولايات المتحدة الأمريكية إلى حديثها عن تطبيق إجراءات ردعية في حق المسؤولين عن الهجمات السيبرانية[23].

الفرع الثّاني: الدّبلوماسية من الحرب التّقليدية إلى حرب الإنترنت

تجدر الإشارة إلى أنّ الهواتف الذكية الّتي صارت بين أيدي العامّة من الناس مكّنت الجميع من إلتقاط الصور ونشرها بشكل عالي الوضوح وكذلك مقاطع الفيديوهات، فبنقرة واحدة يستطيع الجميع إنتاج المعلومات وتلقّيها، وهو ما أفقد قيمة وهيبة الدّبلوماسية، فلم يعد التوصل للمعلومات حكراً على الاتصالات الدبلوماسية والعسكرية، فالناس صاروا يصدرون أحكاما على الصّراعات قياساً على ما يشاهدونه في المواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي.

في 2010 قامت مواطنة من أصول إسرائيلية بنشر صور تحرّكات مائتي جندي إسرائيلي ممّا أفاد كثيرا عمليات المخابرات الفلسطينية المترصدة لعمليات جيش الاحتلال الإسرائيلي[24]، فإسرائيل دخلت حرباً من نوع جديد إنّها الحرب الإلكترونية، وقد أعدّ الجيش الإسرائيلي نفسه لسنوات عديدة من خلال مجموعة من الاستراتيجيات الإلكترونية التي تقضي على البيانات القاعدية، وَقد إبتدع المقاتلون الإسرائيليون مصطلحا يسمى البلازما العامّ أين يتواجه فيه الجندي مع جندي آخر وراء شاشة الكمبيوتر، ويعتبر هذا نوعاً جديدا من حرب النجوم، فالدّبلوماسية يمكنها بأساليبها أن تثبّط الحروب التقليدية لكن التقدّم التكنولوجي صعّب عليها مواجهة هذا النّوع الجديد من الحرب الإلكترونية، فمثلاً جنّدت إسرائيل جنوداً إفتراضيين يُدْعون جنود السيبرانية عددهم 8200 وحدة ليسوا كالجنود الحقيقيين، فهم مسؤولون عن الاستخبارات والجوسسة وَفكّ الرموز السريّة لإختراق الحواسيب ذات البرامج المهمّة في المؤسّسات العسكرية[25].

إذن فجرائم الإنترنت هي تهديد للسلام والاستقرار بين الدول، وَهي قطع للعلاقات الدبلوماسية بما أنّ استخدام الهجمات السيبرانية ذات أغراض استراتيجية بالدرجة الأولى، وبالتالي فهذا يؤثر على البنية التحتية للعلاقات الدولية، هو ما دعا إليه وزير الاقتصاد الرقمي الإيفواري في 2016 عندما دعا الدول الإفريقية خصوصا الفرانكفونية منها أن تظل يقظة وأن تتوقع التهديدات واتّخاذ تدابير التوازن الإيجابي بين منافع التكنولوجيا الرقمية والمخاطر المتوقّعة، هذا تزامناً مع اِرتفاع عدد المشتركين في ساحل العاج في الهاتف المحمول من 16 إلى 25 مليون مشتركاً في ظرف ثلاث سنوات، وارتفع عدد المشتركين في شبكة الإنترنت من 200000 إلى 8 ملايين مشتركاً[26].

بناءً على ما سلف ذكره فإنّ الجرائم الإلكترونية تتعدّد أوجهها والإنترنت ليست دائما ذلك الفضاء الّذي تُؤخذ منه المعلومات الصحيحة فيمكن أن تمتلك جانبا مظلما بزعزعة التعاون بين أشخاص المجتمع الدولي عندما تكون مواضيعها الإرهاب وَالدعارة وَالقرصنة وَغيرها من الجرائم الّتي ترتكب عن طريق أجهزة الهاتف وَالحاسوب، وَكثيرا ما توضع أجهزة كالمكبّر وَالكاميرا الدقيقة للتجسس في الفنادق الّتي يرتادها الدبلوماسيون وَالمبعوثون الدوليون وَالسفراء، فمثلاً عندما يقرأ مبعوث ما أحد المضامين المهمّة أو المواد الحسّاسة فإنّ الكاميرا الدقيقة ستسجل كل تحرّكاته وَبالتالي فهذه السرّية ستكون عرضة للانكشاف، ممّا يدفع بهؤلاء إلى اِتخاذ تدابير كإطفاء المصباح والقِراءة تحت الغطاء الغليظ وَكذلك عدم التكلم بطلاقة في الغرفة وَغير ذلك من الإجراءات أثناء الزيارات الرسمية أو الودية.

الخاتمة:

لقد كان لثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصال أثر هائل على العلاقات الدّولية وطريقة عمل الدّبلوماسيين خصوصاً عندما يتعلّق الأمر بمهمّة حفظ الأمن والسّلم الدّوليين، فقد أدّت تكنولوجيا المعلومات دوراً عندما قرّبت الأقطار بين بعضها البعض، فالكلّ يتّفق على أنّ العالم صار أصغر حجماً من خلال تكنولوجيا المعلومات، فممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الثّورة العلمية قد غيّرت المجتمع الدّولي بشكلٍ كبير وأثّرت على ممارسة الدّبلوماسية الحديثة، فالبريد الإلكتروني، الإنترنت الهاتف، التّلفزيون والأقمار الصّناعية قد أحدثت تغييراً في نظر المجتمعات إلى العالم من حولهم وإعادة تحديد الطريقة الّتي تجري بها العلاقات الدّولية وحدوث تحوّل في النّموذج الدّولي المتأثّر بظهور تكنولوجيا المعلومات.

إنّ هذا التّغيير لم يمسّ المحتوى فحسب بل مسّ أيضاً سياق السّياسة الدّولية وتدخّل الجهات الفاعلة غير الحكومية في النّشاطات الدّبلوماسية، بل وحتّى إشراك المدنيين في صنع السّياسة المحلّية والأجنبية ممّا قسّم الممارسة السّياسية بين مختلف الفواعل، فحدثت طفرة في الوعي العالمي واستخدام

القوّة النّاعمة في مواجهة القوّة الصّلبة، وبهذا صيغت الدّبلوماسية الحديثة لتناسب الجهات الفاعلة المتعدّدة الجديدة، بالإضافة إلى أنّ الدّول بدأت ترى الفوائد الكامنة لتكنولوجيا المعلومات والاتصال في تسيير الدّبلوماسية والخدمات المرتبطة بها وتكييف الدّبلوماسيين مع مختلف الأوضاع والقضايا الدّولية المعاصرة.

إنّ الدّول النّامية –لاسيما الجزائر- في خضم ما سبق ذكره، يُمكن لها إستغلال الوضع مستقبلاً والظهور كلاعب مؤثّر في السّياسة الدّولية والاقتصاد الدّولي، غير أنّ هذا الأمر يستوجب حذراً من سوء إستخدام تكنولوجيا المعلومات في تسيير الدّبلوماسية وكلّ ما يهدّد هذه الأخيرة من هجمات سيبرانية، القرصنة وغيرهما، وبالتّالي لا يمكن قياس آثار تكنولوجيا المعلومات والاتصال على العمل الدّبلوماسي المعاصر بشكلٍ كمّي كونها مجموعة خصائص وصفية لحالات نموذجية في السّياسة الدّولية.

الهوامش:

[1] تأثير ثورة المعلومات في المجتمع: تأثير ثورة المعلومات على السياسة والدبلوماسية وصنع القرار، (2021/9/22)، متاح على: *www.startimes.com/ ?t=17649861*

2 Nabiela Ismail, Diplomacy in the Age of Internet : Callenges and Prospects, Academia : Accelerating the world's reseach, 2020, p4.

[3] أوكيل مُحَمَّد أمين، حصانات وامتيازات دار البعثة الدّائمة وأفرادها الدّبلوماسيين، مجلة الحقوق والعلوم السّياسية، المجلد 03، العدد 02، جوان 2016، ص61.

[4] رافع أبو رحمة، العلاقات الدولية المعاصرة، (2021/9/22)، متاح على: *groups.google.com/forum/#!/fayad61/*

5 الدبلوماسية الرقمية وإدارة المعارف، (2021/9/23)، متاح على:*www.diplomatie.gouv.fr/diplomatie-numérique/*

[6] خالد مُحَمَّد غازي، دبلوماسية المعلومات، 2012، (2021/9/23)، متاح على:*middle-east-online.com/ ?id=140289*

[7] L'information à l'ère spatial : Le Rôle des Satellites de communication, Paris : Palace de Fontenoy, 1968, p22.

[8] Li Zaoxing, La Paix : Le Développement et La Coopération-Drapeau de la diplomatie Chinoise à la nouvelle époque, Ministery of Foreign Affairs of PRC, 2005, (24/9/2021), disponible sur : www.fmprc.gov.cn

[9] Boris Matto, Effect of Information and communication technology on Diplomacy and Foreign Policy Administration, Bratislava: University of Economic, 2011, p11.

[10] Technology and Diplomacy, 2009, (24/9/2021), Available on: thediplomat.com

[11] Viona Rashica, The benefits and risks of digital diplomacy, SEEU Review, vol.13, n°1, 2018, p80.

[12] *Ido Aharoni, "How Technology has Revolutionized Diplomacy", 2015, (25/9/2021), Available on: time.com/4015667*
[13] *Mathieu Couttenier & Raphael Soubeyran, La diplomatie permet-elle d'obtenir des avantages commerciaux? , 2011, (25/9/2021), Available on: archive.lesechos.fr*
[14] *Tristan Mattelart, Les enjeux de la circulation internationale de l'information, Revue Française des sciences de l'information et de la communication, 2011, p2.*
[15] *Pierre Bruno Ruffini, La Diplomatie Scientifique: Nouvelle dimension des relations Internationales?, Campus Franc, n°23, 2016, p5.*
[16] *Henry Lubun, Impact of Information technology on international relation and diplomatic practice, The National Research Institute, 2013, (25/9/2021), Available on: pngnri.org*
[17] *Aleksander Plavsi, Advantages and Disadvantages of Democratization of Diplomacy in the conditions of new technologies, ECPD :Belgrade University, 2014, p153.*
[18] *Osley M.Grash, Virtual Diplomacy of the digital age, University of Malton, 2006, p10.*
[19] *Bridget Verrekia, Digital diplomacy and its effects on International relations, Independent Study Project Collection, 2017, p23.*
[20] *Clifton Martin & Laura Jagla, Integrating Diplomacy and Social Media, Aspent Institute: Communication and Society Program, 2013, p12.*
[21] *Milton Wolf, Cyber War!...and the emergence of cyber Diplomacy, 2016, (26/9/2021), Available on: global.asc.upenn.edu*
[22] *US-China Cyber Diplomacy Unlikely to curb cybercrime: Expert, 2011, (27/9/2021), Available on: www.dw.com*
[23] *Commentary Diplomacy Not santions: Needed to tackle Cyber Crimes, 2015, (27/9/2021), Available on: Jakartaglobe.id/opinion*
[24] *Alain Tarove, Israël :Tasahal est paré à la guerre Cybernétique contre un ennemi virtuel qui agit quatre coins du monde, 2017, (26/9/2021), disponible sur : europe.israel.org*
[25] *Nicolas Apargain, La guerre cybernétique, France: INHES, 2015, p5.*
[26] *La Cybercriminalité :Une menace contre la paix en Afrique Francophone, 2016, (27/9/2021), disponible sur : www.lemonde.fr*